Coptology

ضياع الهوية

إسقاط علاقة الثالوث بالإنسانية في الابن والروح القدس، في الرد على إحدى اتهامات الأنبا بيشوي

دكتور

جورج حبيب بباوي

نوفمبر ٢٠١٣

www.coptology.org

إسقاط علاقة الثالوث بالإنسانية في الابن والروح القدس، ماذا يعني؟

على موقعه الرسمي – وبالمناسبة لا يزال يحتفظ بلقب "سكرتير المجمع المقدس"، رغم وجود نيافة الأنبا روفائيل، فهو يهوى جمع الألقاب: الرجل الثاني – اللاهوتي الأول – الرجل الحديدي، وألقاب أخرى لا يصدقها إلَّا ضعاف العقول– يقول الأنبا بيشوي أن أحد أخطاء جورج بباوي هو: "الادعاء بأن البشر أقانيم لهم طبيعة واحدة مثل أقانيم الثالوث".

وطبعاً في عصر فقدان الهوية وسيادة الجهل بالتسليم الكنسي – بناءً على ذلك – سوف يصرخ الصغار والرعاع: ياه إحنا أقانيم ... أمعقولٌ هذا الكلام؟!!!

ما الذي ضاع من الهوية؟

أولاً: أسقطت اللغة المعاصرة تعبير "إخوة الرب" على الفقراء والمعوزين فقط. تسمع هذا اللقب الآن يقال في الكنائس بلا تمييز، في حين أن الرب نفسه هو الذي استخدم هذه العلاقة الحميمة في بشارة القيامة؛ إذ يقول لمريم المجدلية: "اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم ..." (يو ٢٠: ١٧)، وصار الرب هو "البكر بين إخوةٍ كثيرين" (رو ٨: ٢٩)، فهو الأخ البكر الذي لا يجاهر أحدٌ بإخوَّته لنا لأننا أفرزناه بعيداً وملأنا الفراغ الذي تركه بأشخاصٍ هم بشرٌ مثلنا.

والأخوة تعبير متواتر عند رسول المسيح بولس: (رو ١: ١٣ – ٧: ١ – ٨: ١٢ – ٩: ٣ – ١١: ٢٥ – ١٤: ١٠ – ١ كور ١: ١ – ١: ١٠ – ١: ٢٦ – ٢: ١ – ٣: ١ – ٤: ٦ – ٥: ١١ – ٦: ٦ – ٧: ١٢).

وإذا اخترنا اقتباساً واحداً من كل الرسائل لوجدنا: (٢ كور ١: ١– غلا ١: ٢ – أف ٦: ٢١ – في ١: ١٢ –كولو ١: ١ – ١ تسا ١: ٤ – ٢ تسا ١: ٣ – ١ تيمو ٤: ٦ – ٢ تيمو ٤: ٢١ – فل ١).

وفي باقي أسفار العهد الجديد: (عب ٢: ١١ – ٢: ١٢ – ٢: ١٧ – ٣: ١ – ٣: ١٢١ – ٧: ٥ – ٨: ١١ – ١٠: ١٩ – ١٣: ٢٢، ٢٣ – يع ١: ٢ – ١: ٩ – ١: ١٦ – ١: ١٩ – ٢: ١ – ٢: ٥ – ٢: ١٢ – ٢: ١٥ – ٣: ١ – ٣: ١٠ – ٣: ١٢ – ٤: ١١)، وباقي الأسفار: (١ بط ٥: ١٢ – ٢ بط ١: ١٠ – ١ يو ٢: ٩ – ٢: ١٠ – ٢: ١١ ... إلخ).

المسيح البِكر بين إخوة كثيرين (رو ٨: ٢٩)

جاء التجسد بهذه الحقيقة الجديدة التي أعثرت الأريوسيين وحدهم. هؤلاء الهراطقة بكل ما تحمله الكلمة من عداء لشخص الرب قالوا إنها تعني أن الرب مخلوقٌ، ولكن تنازُل الرب ابن الله وتجسده هو الذي جعل الأسفار تُطلق عليه لقب "البِكر"، ولذلك يقول أثناسيوس العظيم: "سُميَ بكراً بسبب التنازُل للخليقة وصيرورته أخاً لكثيرين" (ضد أريوس ٢: ٦٢، راجع الترجمة العربية ص ٩٨). وفي فقرةٍ تشبه النشيد وذات إيقاع لاهوتي خاص في الرسالة إلى الوثنيين يقول أثناسيوس ثالث عشر الرسل بكل حق عن الآب:

> "هو صالحٌ ويسود على الخليقةِ ... ويبقى الكون كله بواسطة الكلمة الذي هو الله نفسه لكي تستنير به الخليقة وتحت قيادته وترتيبها بواسطة الكلمة، تبقى الخليقة ثابتة لأنها تشترك في الكلمة الذي من الآب والتي

أُعينت بواسطة الكلمة لكي تبقى في الوجود حتى لا تعاني، ما يمكن أن يحدث لها أن تسقط في عدم الوجود إن لم يحفظها الكلمة؛ لأنه هو "صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة ..." (كولو ١: ١٥ – ١٦)" (فصل ٤١، راجع النص اليوناني ١١٤ طبعة جامعة أكسفورد – راجع أيضاً الترجمة العربية الجديدة التي أنجزها د. جوزيف فلتس، ونشرها مركز الآباء بالقاهرة ٢٠١٣، ص ١٣٢ – ١٣٣).

ولذلك يحمل اللقب عدة معانٍ، ولكن المعنى الأول هو إلوهية الكلمة، والمعنى الثاني هو تجسده؛ لأن تجسده لا يحقق لنا شيئاً بدون إلوهية الكلمة. ومن خلال هذا الاقتباس يظهر لنا أن الكلمة تجسد لكي يعطي الخليقة:

* البقاء في الوجود.

* أن تدبير التجسد جعل الابن "البكر"؛ لأنه جاء لكي يؤسِّس بقاء الخليقة (راجع أثناسيوس De Decretis – غريغوريوس النيصي: ضد أنوميوس ١: ٥٧٣ – هيلاري: الثالوث ٨: ٤٩ – ٥٠ – ذهبي الفم: عظة على كولوسي ٣: ٢ مجلد ٦٢ عامود ٣١٨ – ٣٢٠).

لماذا سقطت أخوَّة المسيح الرب لنا؟

جاء هذا بسبب توالي عصورٍ تغيَّرت فيها لغة الكنسية ثلاث مرات من اليونانية إلى القبطية، ومن القبطية إلى العربية، ثلاث لغات لا يوجد بينهم صلة. وجاء عصر تدمير التراث في غزوة الفرس لمصر، وتلاه الفتح العربي، ثم عصر قهر لكل شعب مصر وليس للأقباط فقط في ظل الحكم الأموي – العباسي – المماليك – الأتراك العثمانيين، ولم تعرف مصر الاستقرار إلَّا في عصر محمد على مؤسس مصر الحديثة، ومع هذا جاء الاحتلال البريطاني في عام ١٨٨٢ ثم الحروب المتوالية ١٩٤٨ – ١٩٥٦ – ١٩٦٧ – ١٩٧٣، تلك الحروب التي كانت لها آثار سلبية على حياة مصر وعلى كنيسة مصر؟

وانقطعت الصلة بالتراث بسبب تغيُّر اللغة.

طبعاً سبق ذلك انقسامٌ مخيف في ٤٥١ م حوصرت فيه الكنيسة المصرية حصاراً نفسياً بإطلاق لقب "أصحاب الطبيعة الواحدة" (المونوفيزيين) الذي لا يزال يطاردنا في الكتب الحديثة حتى تاريخ كتابة هذه السطور. وحصار عقائدي بالكتابات اللاهوتية ضد كنيسة مصر، وبأقلام المشاهير مثل يوحنا الدمشقي، ثم الهجوم الشرس للإرساليات الإنجيلية والكاثوليكية ابتداءً من القرن الثامن عشر ....

ودارت معارك كبيرة في الكتب والمقالات لا سيما في القرن التاسع عشر والعشرين، ولا تزال دائرة حتى الآن. ولعل أخطر هذه المعارك هو معركة تدمير الكنيسة القبطية من الداخل بأكبر حركة تبشير يقودها د. القس سامح موريس، ويشترك معه – بكل أسفٍ – بعض أساقفة عن جهلٍ وتعنُّت؛ لأنهم بالهجوم على ما يزيد عن ١٥٠ كتاب للأب متى المسكين، هي الكتب الوحيدة التي تستحق القراءة، بجانب ما صدر من مركز الآباء المتهم الثاني بأنه يتبع الأب متى المسكين، ثم الهجوم على كاتب هذه السطور "الذي يدير الكنيسة" حسب زعم الأنبا بيشوي، لا يجد الشباب القبطي سوى الهجرة الصامتة. ولعل سكرتير المجمع المقدس خلال ٢٢ عاماً لم يحاول القيام حتى بإحصائية عن عدد الشباب الذي هجر الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في صمتٍ مطبق، وترك الصراعات حول المواهب والأقنوم، وتناول ناسوت المسيح لا لاهوته، ثم العظات السيئة التي تدور على الحلال والحرام، لا حول الخير والشر (الفرق كبير جداً).

وقد قدَّر أحد الباحثين من الكاثوليك أن عدد الشباب الذي يترك الكنيسة القبطية كل سنة يقارب ٢٠٠٠ شخص ينضم إلى الكنيسة الإنجيلية، وأن حركة الهجرة تكاد تكون محصورة في المدن الكبرى القاهرة والإسكندرية، وإن كانت قليلة في القرى ومراكز الوجه القبلي.

لقد تجمعت كل هذه العوامل لتنال من الخلقة الجديدة التي جاء بها "البكر"، وأصبح الحديث عن الأخ البكر بمثابة هرطقة، أو موضوعاً يثير ردة فعل تنال من تدبير تجسد الرب نفسه.

أذكر أنني كنت في زيارة لأحد أديرة وادي النطرون، وجاء أب راهب ليأخذ البركة بعد القداس، وقال للأب الكاهن الذي أعطاه نصيباً كبيراً من القربان: "كثَّر خيرك يا ابن الله"، فانزعج الأب الكاهن، وقال للراهب: "أنا لا أحب الهزار، لأن الهزار موش في هذه الأمور". فقال الراهب: "إذا كنت أنت موش ابن الله، واقف ليه عند مذبح رب القوات؟". وهنا جاء أحد المتوحدين وهمس في أذن الراهب، فانصرف من الكنيسة، وقبل أن يخطو برجله عتبة باب الكنيسة قال له المتوحد: "إن هذه اللغة وهذه المفردات والألقاب قد غابت من الوعي، نحن حقاً أولاد الله، وهذه هي هوية الخلقة الجديدة، لكن أبونا من الطقس القديم، موش عارف كده. فقال الراهب: "لكن أنا أقدم منه في الرهبنة، ولما أنادي على أي راهب أقول له يا أخ، وأحيانا يا أخو الرب، يا ابن الله".

هنا ظهرت الحقيقة. نحن نخاف من النعمة، ولذلك أصبح شغل البعض الشاغل هو تجريد النعمة وحصار المسيح في مكانه ليبقى هو وحده ابن الله، ونخسر نحن بنوتنا لله ولا تبقى هذه البنوة في الهوية الكنسية طبقاً لإعلان الإنجيل: "أما كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أبناء الله، أي المؤمنون باسمه الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله ولدوا" (يو ١: ١١ – ١٢).

ولذلك لم يقبل الأنبا شنودة الثالث هذه البنوة، واعتبرها مجرد انتساب شرفي، فهي ليست شركة في بنوة الابن، خوفاً من الشركة في الطبيعة الإلهية؛ لأن هذه الشركة تحدد السلطان، بل تجعل من هذا السلطان خادماً لا سيداً.

الأقنوم والشخص

هل لنا طبيعة واحدة؟ نعم. ولكن ماذا يقصد الأنبا بيشوي بعبارة "مثل طبيعة الثالوث الذي له طبيعة واحدة؟". لا أدري من أين أتى بهذه الفكرة التي ليس لها وجود في أي مقال أو كتاب نُشر. أما تزوير الشرائط، فهذا اختصاصه الذي تفوق فيه على كثيرين.

"الأقنوم" ليست كلمة عربية، بل هي سريانية الأصل. والأقنوم عربياً والترجمة عائدة إلى اللغات الأوربية، واللاتينية، ثم الإنجليزية هي "الشخص".

والسؤال: هل نحن أشخاص؟

طبعاً عندما يتم احتجاز كلمة "أقنوم" للثالوث وحده –عن جهلٍ– يتم تدمير:

١– الإنسان صورة الله ومثاله (تك ١: ٢٦).

٢– إعادة الصورة في المسيح إلى مجد لم يكن لها في آدم الذي نشترك معه في طبيعة واحدة حسب عبارة الرسول: "في آدم يموت الجميع" (١ كور ١٥: ٢٢). ويبدو أن المطران لم يدرس رو ٥: ١٢ – ٢١، وبالذات ٥: ١٢ "اجتاز الموت إلى جميع الناس ..."، "بخطية واحد مات الكثيرون ...."، "صار الحكم إلى جميع الناس ...".

هكذا لا بُد من البحث عن خطأ، فإن لم يجد، إذن لا بُد من اختراعه كذباً حتى يلصقه بالعدو اللدود جورج بباوي.

٣– ولكن المسيح فينا، هو حتماً أقنوم متجسد، فهل هو فينا، أم أنه ساكن في حيوانات أو كائنات مادية، أو آلات؟ أوَلسنا –حسب تعليم الرب نفسه– هو الكرمة ونحن الأغصان (يو ١٥: ٥)، وهو الجسد الواحد، ونحن أعضاء هذا الجسد، فكيف صار الرب رأساً لجسد واحد منه تولد كل الأعضاء –حسب قول الرسول – ولا تولد

هذه الأعضاء أشخاصاً، بل شيءٌ آخر، ولا يكون هو "بكراً بين إخوةٍ كثيرين"؟

٤– وأنا أعذر المطران لأنه لم يدرس اللاهوت حتى في الكلية الإكليريكية، ولعله –وهو لم يكتب إلا قليلاً– لم يسمع ولم يقرأ عن تأقنم طبيعة الرب الإنسانية بسبب اتحادها بإلوهية المخلص، وهو ما يُعرف باسم ***en - hypostasis*** فقد جاءت النسطورية لتقول بأن المسيح إنسانٌ له أقنوم متصل بأقنوم الكلمة، فهو أقنوم آخر، أي لدينا أقنومين: الابن كإله، والمسيح كإنسان، ولذلك جاء التعليم بأن الطبيعة الإنسانية في المسيح ليست أقنوماً ***an - hypostasis*** بل هي طبيعة تتأقنم بالاتحاد بأقنوم الله الكلمة، ولذلك هي ***en - hypostasis*** وهذا التأقنم بالاتحاد هو مصير كل مسيحي يصبح متأقنماً كإنسان بسبب اتحاده بالرب. وأتمنى أن ينكر المطران هذا لكي نحاكمه أمام القديس كيرلس الكبير، فهو – أي المطران – لم يدرس المقالات الخمس ضد نسطور، ولم يدرس المقالات الأربع ضد أريوس، ولا قرأ المسيح واحد للكبير كيرلس بطريرك الإسكندرية.

ونكتفي هنا بعبارات رسول رب المجد، إذ يقول إن المسيح مات وقام لكي بموته تموت الإنسانية كلها حسب تعبير القديس أثناسيوس: "إننا قد متنا جميعاً في المسيح" (الرد على الأريوسيين ١: ٤١)، ولكن المطران اعتنق عقيدة الفداء والكفارة حسب لاهوت الكنيسة الإنجيلية، ومقتضاها أن المسيح مات على الصليب لكي يقيدم فدية ويدفع ثمناً للآب، ولذلك لا يمكن لأحدٍ أن يشترك مع المسيح في الصليب. ولذلك فهو يعتقد – خطأً – مثل كل الإنجيليين أن موت المسيح قاصرٌ عليه هو وحده، وهو ما يسجله بقلمه في كتابه، إذ يكتب كأي إنجيلي: "إذا كنا قد صُلبنا مع المسيح في يوم الصلب بحيث لم يُصلب عنا بل بنا –كما يقول البعض– فهل نُصلب معه مرةً ثانية في المعمودية أم لا؟" (ص ٤٣). فكيف أجاب المطران: "نحن ننال شركة الموت مع المسيح في المعمودية. وفي قوله (بولس) "صرنا متحدين معه" يدل على أن هذا شيء قد حدث وقت العماد ولم يكن حادثاً من قبل، وإلا فما معنى الصيرورة هنا (من كلمة صرنا)، إننا نحذِّر من هذا التعليم الغريب والخطير الذي يهدم عقيدة الفداء ..." (ص ٤٤).

عقيدة الفداء التي ينادي بها المطران هي ما تعلَّمه من كتاب اللاهوت النظامي الخاص بالكنيسة الإنجيلية، وهنا لا يوجد فرق جوهري بين الأنبا بيشوي والقس د. سامح موريس، ولأن كلاهما يظن أن كل شيء تم يوم الجمعة، يوم الصلبوت لأن الصليب والمصلوب –عندهما– هو حدث وليس شخصاً، هو حدث تاريخي ينتهي، وهو ما يعني أن بولس أيضاً كان قد اعتنق ذلك التعليم الغريب والخطير الذي يهدم عقيدة الفداء عندما كتب بعد موت الرب على الصليب: "مع المسيح صُلبت، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ" (غلا ٢: ٢٠)، وكان أثناسيوس العظيم حقاً لا يعرف التعليم الصحيح ويهدم عقيدة الفداء! ولكن المسيح الرب جاء لكي يهدم الموت الذي يخص الإنسان، وقد هدم الموت في جسده أولاً، ولذلك مات وأبطل الموت، "أما القيامة وتمجيد (الإنسانية) فإنهما يدومان فينا بالضرورة بسببه" (ضد الأريوسيين ١: ٤٥). فقد أخذ ما هو مائت لأن الرب "قد صار إنساناً لكي يصوغنا (يُعيد تكويننا) نحن المائتين والزمانيين ويجعلنا غير مائتين" (ضد الأريوسيين ١: ٤٨)، ولذلك هو كشخص "كنا نحن الذين اعتمدنا فيه"، وهو كشخص كنا نحن الذين مُسحنا فيه لأن ذلك الشخص أو الأقنوم المتجسد له حضور جسدي دائم" (ضد الأريوسيين ١: ٤٨ – ٤٩).

ولأن جوهر الخلاص في الأرثوذكسية هو اتحادنا بالثالوث في الابن بالروح القدس، يكتب أثناسيوس: "لأن الذين يخلقهم يتحدون به ويكون هو فيهم مثلما يكونون هم فيه" (المرجع السابق ٢: ٥٥). ولأن الخلاص هو عمل شخصي وليس مجرد حدث تاريخي فقط، بل يسوع المصلوب الذي مات مرةً واحدة جعل موته الواحد على الصليب هو قوة حياة وتحرير الجسد، وليس ثمناً يُدفع للآب – حسب اعتقاد الإنجيليين والأنبا بيشوي – ولذلك يكتب أثناسيوس العظيم: "فإن جسده (الرب يسوع) كان هو أول ما تم تخليصه وتحريره، إذ أن هذا الجسد هو جسد الكلمة ذاته. وهكذا، إذ قد صرنا متحدين بجسده قد خلصنا على مثال جسده ...، فإنه هو الأول الذي قام كإنسان، إذ قد أقام جسده من أجلنا ... هكذا نحن أيضاً نقوم من بين الأموات فيه وبه" (المرجع السابق ٢: ٦١).

إنكار شركتنا في المسيح في موته وقيامته

هكذا يشرح غريغوريوس اللاهوتي تدبير الخلاص:

"لنحتفل بالميلاد لأنه حررك من قيود ميلادك.

أكرم قرية بيت لحم الصغيرة لأنها أعادتك للفردوس.

أحترم المذود لأنك الذي غاب عنك عقلك الآن تتغذى بالكلمة" (المقالة ٧: مجلد ٣٥: ٧٨٥).

ثم

"أخيراً يجب أن تصلب مع المسيح وأن تموت معه وتدفن معه لكي تقوم وتتمجد معه" (المقالة ١٨: مجلد ٣٥: ٣٣٣).

بل يقول في عظة عيد القيامة:

"بالأمس عُلِّقتُ مع المسيح على الصليب، واليوم أنا أتمجد معه.

بالأمس كنت أموت معه

اليوم عُدتُ بواسطته إلى الحياة

بالأمس أنا دُفِنتُ معه

اليوم أنا أقوم معه

لنصبح مثل المسيح لأن المسيح صار مثلنا

لنصبح آلهة لأنه صار إنساناً لأجلنا" (مقالة ١: ٤ مجلد ٣٥: ٣٩٧).

وفي قداسنا الغريغوري نقول: "شعبك يطلبون بك ومعك إلى الآب".

وعن شفاعة الرب يقول اللاهوتي:

"هو الآن كإنسان يتشفع لأجل خلاصنا لأنه لازال في الجسد الذي أخذه لكي يجعلني إلهاً بفضيلة (حقيقة) تجسده" (مقالة ٣٠: ١٤ مجلد ٣٦: ١٢١).

الهوية التي يسعى التراث الشعبي لكي يهدمها، ويهدم معها السرائر

هكذا ينكر المطران الشركة في موت المسيح، ويجب عليه أن يُحاكِم غريغوريوس اللاهوتي، ويحاكِم معه باقي الآباء لا سيما القديس كيرلس الأورشليمي الذي شرح نص رسالة رومية ٦: ١ – ٨ مؤكداً أن شبه موته تعني عدم دق المسامير، إذ يقول:

"يا له من أمرٍ عجيب مدهش: أننا لم نمت حقاً ولم نُدفَن حقاً ولن نُصَلَب حقاً ونقم حقاً، وإن كان التشبه هو بالمثال، ولكن الخلاص تم قاً. لقد صُلِب المسيح فعلاً، ودُفِن فعلاً، وقام فعلاً من الموت، فكل هذه النعمة أُعطيت لنا نحن حتى إذا اشتركنا في آلامه بالتشبه بها، ننعم بالخلاص الحق. يا للمحبة غير المحدودة للبشر. يسمَّر المسيح في قدميه ويديه الطاهرتين ويتحمل العذاب لكي يمنحني هذه المشاركة أي أن أحصل على نعمة الخلاص بدون مشقة ولا عذاب" (عظة ٢٠: ٥).

ثم يضيف:

"يجب أن نتعلم أن كل ما تحمَّله المسيح من عذاب، تحمَّله من أجلنا ولأجل خلاصنا، وقد تألم فعلاً ... لكي نشاركه آلامه ولذلك يقين بولس بكل وضوح: لأننا إذا كنا قد غُرسنا معه على شبه موته فنكون على شبه قيامته أيضاً (رو ٨: ٥)، وحسناً قال: "غُرسنا معه"؛ لأن الكرمة الحقيقية قد غُرِست (يو ١٥: ١ – ٨)، **غُرِست هنا**، فنحن إذ نشترك **بمعمودية موته**، نصبح غرسةً واحدةً معه. وأرجوكم أن تنتبهوا إلى كلمات الرسول، إنه لا يقول "إذا كنا قد غُرسنا معه في موته"، بل "على شبه موته"؛ لأن المسيح مات فعلاً ... أمَّا بالنسبة لنا فالحالة تختلف لأن موتنا شبه موته وآلامنا كانت شبه آلامه، ولكن خلاصنا لم يكن شبه خلاصٍ، وإنما خلاصاً حقيقياً".

وفي العظة ٢١ على الميرون يذكرنا:

"أنكم أنتم الذين "اعتمدتم في المسيح ولبستم المسيح" (غلا ٢: ٢٧)، فأصبحتم على مثال المسيح ابن الله (رو ٨: ٢٩)؛ لأن الله اختارنا لكي نكون أبناء بالتبني" (٢١: ١).

وعن الميرون يقول ما تذكره صلواتنا القبطية:

"في الوقت الذي يُمسَح فيه جسدك بالدهن المنظور، تتقدس نفسك بالروح القدس المحيي" (٢١: ٣).

ولكن كل هذا يجب تدميره لكي لا يبقى أيٌّ منا ابناً وعضواً في جسد الرب، بل آلة لا شخص يتشبه بالثالوث، بل شيئاً هلامياً لا كيان له.

هدم الوحدة الروحية التي ننالها في الإفخارستيا

هذه الوحدة الروحية تعبر عنها الليتورجية بعد استدعاء الروح القدس، فتقول:

"أجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا أن نتناول من قدساتك طهارةً لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا لكي نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً".

لكن المطران الذي يبدو أنه لم يستلم لاهوت خدمة الليتورجية، بل استلم الطقس وحده لا يرى هذه الوحدة، ولذلك يحاكمه القديس غريغوريوس النيسي:

"بالاشتراك في الجسد الواحد للمسيح نصبح جسداً واحداً، أي جسده" (مجلد ٤٤: ١٣١٧).

وأيضاً:

"هو (الرب يسوع) في الكل، ويأخذ إليه الكل الذين اتحدوا به بالشركة في جسده، ويجعل الكل جسده حتى أن كل الأعضاء تصبح جسداً واحداً" (المرجع السابق ٤٤: ١٣٢٠).

وعند ذهبي الفم الذي كان له لاهوتاً اختبارياً، ولم ينشأ على كتب الإرساليات:

"يجب أن ندرس هذا السر الفائق، وأن نفهم سبب تأسيسه ونتائج عمله فينا، فنحن جسد واحد كما يقول الكتاب: "أعضاء من لحمه وعظامه" (أف ٥: ٣٠)، وعلى الذين نالوا سر المعمودية أن يتابعوني: هو يريد أن نكون جسده ليس بالمحبة وحدها، ولكن عندما ننضم إلى جسده. هذا الاتحاد يتم فينا بالتناول من الطعام الذي أعطاه لنا كبرهان على محبته لنا. فهو يتحد بنا ويزرع جسده فينا لكي نكون واحداً مثل اتحاد الرأس بالجسد. ما أعظم استعلان هذه المحبة" (عظة ٤٦ على يوحنا مجلد ٥٩: ٢٦٠).

"إنه لم يسفك دمه فقط، بل يعطي دمه للكل لكي نشرب جميعاً ...".

ثم يقول:

"إن الأحباء يقدمون هدايا لمن يحبون، ولكن لا يقدمون دمائهم، ولكن المسيح قد برهن لنا على محبته النارية وشفقته بنا عندما "قدَّم لنا دمه".

ثم يشرح كلمات الرسول: "الخبز الذي نكسره ..."، وبقول:

"لماذا أضاف بولس "الذي نكسر"، هذا الكسر هو ما نراه في الإفخارستيا، ولم يحدث على الصليب، بل العكس لأنه كتب "وعظمٌ منه لا يكسر" (عدد ٩: ١٢).، وما لم يعانيه على الصليب يسمح به لأجلنا عندما نكسر الخبز لكي يأخذ كلٌ منا ما يملأه" (عظة ٢٤ على كورنثوس الأولى مجلد ٦١: ٢٠٠).

إنكسار الهوية بالاعتداء على سري المعمودية والميرون وإنكار سر الإفخارستيا

يتهم المطران كاتب هذه السطور بأنني أحرض السيدات على العصيان بالادعاء بأن دم الطمث لا ينجس، وهو وإن كان ينجس حسب التعليم الشعبي السائد، فقد جحد هذا التعليم التقديس الذي يناله كل مؤمن في سر الانضمام إلى جسد المسيح، أي المعمودية – الميرون – الإفخارستيا.

كيف يسود القهر والاستبداد؟ بالتحكم في الوظائف البيولوجية للجسد، وهي وظائف شبه دائمة لا تغيب عن الوعي، وينقض التعليم الشعبي غير المسيحي على التقديس الأبدي الذي لا يمكن انتزاعه إذا مارست أعضاء الجسد الوظائف التي وضعها

الخالق نفسه. كان دم الطامث يؤخذ في العبادة الكنعانية للسحر وأعمال أخرى لا أريد الإشارة إليها، ولذلك جاءت شريعة العهد القديم بكل هذه الممنوعات لكي تفرز "الشعب"، وتجعله يحيا حياةً مستقلةً، وكانت الممارسات الجسدانية التي وصفها رسول المسيح بأنها موضوعة إلى زمان التجديد أو حسب دقة النص: "هي قائمة بأطعمة وأشربة وغسلات مختلفة وفرائض جسدية فقط موضوعة إلى وقت الإصلاح" (عب ٩: ١٠). لكن يجب فرض حصار نفسي على المرأة واعتبارها نجسةً، وحرمانها من التناول، بل ومن الصلاة ومن دخول الكنيسة لكي تبقى الممارسة أقوى من السرائر التي نالت بها التقديس، ولكي تصبح العودة إلى طقوس وممارسات العهد القديم أهم من التبني وسكنى الروح القدس. لذلك لم يكن غريباً طوال ٤٠ عاماً أن يقال من على المنابر إننا لا ننال سكنى الروح القدس، بل ننال مواهبه الوقتية لكي نميت في المستمع الحس الروحي بالانتماء الأبدي إلى جسد المسيح، وهو سبب القيامة من الأموات، بل ويضاف إلى ذلك أننا نتناول ناسوت الرب فقط.

ما ذكرناه سابقاً هو شرح التعليم الرسولي الغائب عن فكر المطران؛ لأن رسول الرب يقول عن الرب إنه صُلب لكي يُبطل بجسده "ناموس الوصايا في فرائض"، أي العهد القديم برمته، والسبب "لكي يخلق في ذاته أو في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً" (أف ٢: ١٥). الإنسان الجديد ليس يهودياً ولا أممياً، بل آدم الثاني السابق على الشريعة وعلى ابراهيم وموسى (١ كور ١٥: ٤٥ – ٥٠)، ولكن المطران مع الإنجيليين يضعون الصليب في إطار العدل كما يمارسه ويعرفه البشر وينسبون هذا إلى الله نفسه، وليس لدى المطران عذر لأن العدل والبر وردت في الترجمة القبطية للعهد الجديد ⲙⲙⲉⲑⲙⲏⲓ أي الحق؛ لأن الحق هو العدل حسب لغة الأسفار في العهدين، والحق أو العدل هو استعلان المحبة التي تقبل رد الحياة إلى الخطاة. هذا نراه واضحاً بمراجعة النص القبطي لسفر المزامير الذي يتطابق مع الترجمة السبعينية، حيث البر = الحق = العدل = الصدق. والخطاة الذين يطلبون عدل الله في المزامير حسب الترجمة العربية المتداولة لا يعرفون أن العدل أو البر في المزامير هو صدق الله في مواعيده، فما هو عذر مطران قبطي

لم يدرس الكتاب المقدس بلغة الكنيسة القبطية، أي اللغة القبطية؟

أعود فأقول إن الشخص أو الأقنوم هو رأس الكنيسة، وهو يعطي حياةً تحرر العبيد، وتجعل من العبد شخصاً لأن الخطية تهدم كينونة الشخص، وتحول الشخص إلى عبد، والعبد آلة خاضعة مستعبَدة فاقدة الإنسانية، وكل عبد للقوة ومحبة المال والمكان الأول والمناصب والألقاب هو فاقد للإنسانية، شوَّه صورة الله فيه ولذلك يعتبر أن الله جاء لكي يخلص البشر دون أن يجدد حياتهم من العبودية لكي يتأقنموا ويتحولوا إلى الإنسان الجديد الكامل الذي استُعلِن أولاً في المسيح يسوع والذي يحيا فينا محولاً إيانا إلى أقانيم أو أشخاص لكي نحيا به حسب كلمات أوشية الإنجيل: "لأنك أنت هو حياتنا كلنا".

ليكون الجميع واحداً كما أننا نحن واحد (يو ١٧: ٢١)

من المؤكد أن وحدة الثالوث الكاملة والتامة بين الآب والابن والروح القدس هي المثال الذي يتطلع إليه المؤمنون بالمسيح للوصول إلى أعمق درجات الوحدة وكمالها. نضع هنا تعليق القديس كيرلس السكندري على هذا النص، ونعتذر عن طوله المفرط، فلم نشأ أن نحرم القارئ من درة من درر التفسير والشرح الآبائي، ولذلك قسمناه إلى الفقرات الآتية:

الوحدة الروحية للمؤمنين في الجسد الواحد

> "إنه يريد أن يحفظ تلاميذه في اتحاد العقل والهدف كما لو كانوا قد جُمعوا معاً وصار لهم نفس واحدة وروح واحد هو روح المحبة الأخوية، وأن تربطهم معاً رابطة المحبة القوية التي لا تنكسر لكي يكمل اتحادهم وتصبح رغباتهم موحَّدة مشابهة للوحدة الطبيعية بين الآب والابن، وتبقى غير منقسمة ولا منفصلة ولا يقوى عليها شيء

من قوات هذا العالم ولا رغبات الجسد وشهواته التي تقود إلى الاختلافات وتعدد الأهداف، بل يبقى اتحادهم في التقوى والقداسة وبقوة المحبة الكائنة فيهم. وقد قرأنا عن هذا في سفر الأعمال "وكان لجميع الذين آمنوا قلبٌ واحدٌ ونفسٌ واحدة" (أع ٤: ٣٢).

وحدة من الروح القدس

وهذا الاتحاد من الروح القدس، وهو ما يعبر عنه الرسول بولس بوضوح عندما قال: "جسد واحد، وروح واحد لأننا نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح لأننا جميعاً نتناول من الخبز الواحد" (١ كورنثوس ١٠: ١٧). ونحن الذين أخذنا المسحة من الروح الواحد، أي روح المسيح، نصبح واحداً مثلهم (الرسل) جسد واحد؛ لأننا نشترك في نفس الروح. وهكذا أراد المسيح أن يحفظ الآب تلاميذه في وحدة الروح حتى لا يقدر أحد أن يفرِّقهم، وفي العقل الواحد غير المنقسم *unbroken singelness of mind*

وحدة على مثال الثالوث

ومن يقول إن التلاميذ اتحدوا وصاروا واحداً مثل الآب والابن في الجوهر، في الإرادة، لان طبيعة الله القدوس لها إرادة واحدة، فهو ليس بعيداً عن الحق؛ لأننا نرى ذات الهدف الواحد عند المسيحيين الحقيقيين، إلَّا أننا لسنا مولودين من ذات الجوهر مثل ولادة الابن من الآب الذي هو منه وفيه" (تفسير يوحنا ١٧: ١١ الكتاب ١١: فصل ٩).

طلبة الرب في يوحنا ١٧ خاصة بالكنيسة عبر كل العصور

وكأن القديس كيرلس السكندري فيما هو يؤكد وحدة جميع المؤمنين، يُذَكِّرنا أن قوة هذه الوحدة لا تجعلنا سوى مثال، والمثال دائماً لا ينطبق على الحقيقة التي يمثلها تماماً؛ لأن الابن مولود من ذات جوهر الآب منذ الأزل أو قبل كل الدهور، وهذا هو ما يجعلهما واحداً، أما نحن، فإن وحدتنا تتم في الزمان وتأخذ قوتها من عمل الروح القدس، ومن وحدة الحياة المسيحية، وتماثل الهدف عند المسيحيين الحقيقيين، كما أنه لا يوجد بيننا مَن هو مولود من ذات جوهر الآخر. على أية حال، لقد عالج القديس كيرلس السكندري هذه النقطة بوضوح عندما فسَّر يوحنا ١٧: ٢٠ – ٢٢ "لست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل من أجل الذين يؤمنون بي بكلماتهم (الرسل) ليكون الجميع واحداً، وكما أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك هكذا ليكون الكل واحداً فينا لكي يؤمن العالم أنك أرسلتني". يقول القديس كيرلس السكندري:

> "المسيح هو باكورة ثمار الذين دُعُوا لكي يُبنَوا معاً للحياة الجديدة، وهو الإنسان السمائي الأول لأن بولس يقول عنه: "آدم الثاني الرب من السماء" (١ كورنثوس ١٥: ٤٧) وكما كتب يوحنا: "وليس أحد صعد إلى السماء إلَّا ابن الإنسان" (يوحنا ٣: ١٣). وكل الذين على صلة به، لاسيما الذين اختارهم ليكونوا رسلاً وتابعين له، الذين جمعوا له ثمار نعمته وهم قد شاهدوا مجده وخدموه وصاروا بالنسبة له ثمار الحياة الجديدة التي جاءت بعده؛ لأنه هو رأس الجسد، أي الكنيسة (كولوسي ١: ١٨). ولقد طلب لهم بركة وتقديس الروح الذي سيأتي من عند الآب ولكن بواسطته (المسيح)... ولكن لا أحد من الذين يفحصون الكتب الموحى بها يتخيل أنه طلب أن يحل الروح على الرسل فقط، بل أنه طلب لأجلنا نحن أيضاً الذين نتبعهم ونعيش في بداية عصر المسيحية،

لذلك أضاف الوسيط بين الله والبشر ورئيس كهنة نفوسنا هذا النص لكي يكبح الخيالات الغبية: "ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط، بل من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم"، لأنه يبدو غير معقول أن يقع كل البشر تحت عقاب الدينونة بسبب إنسان واحد، أعني آدم الأول، حتى الذين لم يخطئوا في ذلك الزمان عندما تعدَّى مؤسِّس جنسنا الوصية التي أعطيت له، هؤلاء لبسوا صورة الترابي غير الممجدة،

الصورة السمائية

وعندما جاء المسيح في وسطنا، أي الإنسان من السماء، فهؤلاء الذين دُعُوا من خلاله للبر أي البر الذي بالإيمان، يجب أن لا يحول بينهم وبين إعادة تشكيلهم حسب صورته (المسيح). وكما أننا نقول إن صورة الترابي غير المحبوبة، نراها في أمثلة عدة وفي أشكال مختلفة من البشر الذين يحملون دنس الخطية وضعف الموت والفساد وعدم طهارة الشهوات الجسدية والأفكار العالمية، إلَّا أنه على النقيض من هذا، نتأمل صورة السمائي أي المسيح التي تشرق بالنقاء والإخلاص وبكمال عدم الفساد وبالحياة وبالقداسة، ولذلك كان من المستحيل علينا نحن الذين سقطنا من خلال العصيان الأول أن نعود إلى مجدنا القديم، إلَّا إذا حصلنا على اشتراكنا ووحدتنا في الله، لان طبيعة البشر قد أُخضِعَت من البدء للموت، وبذلك لم يعد ممكناً لأي إنسان أن يصل إلى الاتحاد بالله إلَّا بالروح القدس الذي يزرع فينا التقديس الخاص بأقنومه، ومن جديد يعيد تشكيل الطبيعة التي أُخضعت للفساد، يعيدها إلى حياته فيعود الإنسان إلى الله وإلى شبهه وإلى المجد الذي فقده. والابن هو المثال الذي يعبِّر ويعلن عن

الآب، وروحه هو المماثلة الطبيعية للابن، لهذا السبب فهو من جديد يخلق نفوس البشر ويختم هذه النفوس بصورة الله ومثال العلي.

وحدة على مثال الثالوث بسبب المحبة

لذلك يصلي ربنا يسوع المسيح ليس من أجل الإثنى عشر فقط، بل من أجل كل المختارين في كل عصر الذين يتمسكون ويطيعون كلمات تعليم الرسل، ويأخذون التقديس بالإيمان والتطهير الذي يتم فيهم من خلال الاشتراك في الروح، وهو لم ير أنه من المناسب أن يتركنا في شكٍّ بخصوص صلاته ومعناها، لأنها تُعَلّم أي سلوكٍ يجب أن يكون سلوكنا نحن البشر، وأي طريق للبر يجب أن نسير فيه لكي نصل إلى ما يسره. فما هو هدف صلاته؟ ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك ليكون الكل واحداً فينا. فهو يطلب رابطة المحبة والاتفاق والسلام لكي يصل إلى الاتحاد الروحي، كل الذين يؤمنون لكي تشبه وحدتهم التي تتم من خلال المحبة الكاملة والاتفاق غير المفترق للنفوس، ملامح وحدة الجوهر التي للآب والابن. لكن رابطة المحبة التي تربطنا كلاً بالآخر، وقوة الاتفاق لا تقوم ولا تدوم من ذاتها، وهي لذلك ليست مثل وحدة الآب والابن غير المتغيرة التي هي قائمة بذاتها لأنهما يحفظان وحدتهما بسبب وحدة الجوهر، وهذه الوحدة طبيعية وحقيقية لأنها قائمة على كل ما في طبيعة الله من صفات.

مثال الحق، ليس الحق نفسه

أمَّا وحدتنا نحن البشر، فهي مظهر للوحدة الإلهية، مظهر للحقيقة. وكيف يمكن للشبيه Imitation أن يصبح مثل الحقيقة

الواقعية؛ لأن مثال الحق لا يمكن أن يكون في محتواه مثل الحق نفسه، بل هو مجرد شكل، ويظل كذلك شكلاً للحقيقة، ما لم يدخل عليه عنصر غريب يشوهه، وإذا ظن هرطوقي أو تخيل أنه قادر على أن يقلب تعاليم وحدة أقانيم الثالوث، وبالذات الآب والابن، وحاول أن يبرهن على نظريته الجنونية وقدَّمها لنا على هذا النحو (نحن لسنا واحداً لأن شكل جسد كل واحد منا مختلف عن الآخر كما أن أرواحنا لم تنصهر كلٍ في الأخرى، ولكن وحدتنا هي في الطبع وفي محبتنا لله وفي الاتفاق ووحدة الهدف ورغبتنا في إتمام إرادة الله، هكذا الابن وعلى نفس هذا الشرح هو واحد مع الآب أي واحد معه في الإرادة والاتفاق وليس في الجوهر)، فإننا نرفض مثل هذه النظرية كلها، ونعتبر قائلها مذنبٌ بالجهل وعدم الفهم، لماذا؟ لأن الأمور التي هي أعلى وأسمى من الطبيعة الإنسانية، لا يمكن مقارنتها بما للإنسانية، ولا يمكن أن نُخضِع مَن ليس له جسد للقوانين التي خضع لها الذين لهم أجساد. لا تُشابه الأشياءُ الإلهية، الأشياءَ الإنسانية. ولو انعدمت الفوارق التي بيننا وبين الله، لأمكن لنا أن نُقارن بين ما يخص الله وبين ما يخصنا، ولكن إذا كانت هناك اختلافات بين طبيعة الله والبشر، وهي اختلافات تفوق التصور، فلماذا يحاولون أن يفهموا الطبيعة الإلهية التي لا ترتبط بأي ناموس يخص البشر الضعفاء، ويخطئون بارتكاب ما هو غير معقول، وإذا فعلوا ذلك فهم يبنون الحق من الظلال أو يؤلفون الحق من صورته التي تشبهه فقط، وبذلك يعطون الكرامة للمخلوق ويجعلون ما هو ثانٍ مكان الأول، ويَصِلون إلى فهم سبب كل الأشياء من الأشياء نفسها. ولكن حتى لا نبقى طويلاً في مناقشة هذا الموضوع ونتوه عن معاني النص الإنجيلي نقول إنه عندما يقدِّم المسيح وحدته مع الآب ووحدة الآب معه كمثال وصورة للشركة غير المفترقة والاتفاق والوحدة التي يمنحها

هو للنفوس الملتهبة بمحبته، فهو يرغب أن نتآلف معاً بقوة الثالوث الواحد في الجوهر ونصبح واحداً، وتصبح الكنيسة بأسرها جسداً واحداً صاعدة بالمسيح إلى تلك الوحدة التي تجعل الشعبين شعباً واحداً[١] لأن بولس يقول: "هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً وهدم حائط السياج المتوسط ونقض العداوة بجسده وحتى الناموس والفرائض أزالهم لكي يخلق الاثنين في ذاته إنساناً جديداً واحداً صانعاً سلاماً ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به" (أفسس ٢: ١٤ – ١٦). ولقد تم هذا في الذين آمنوا بالمسيح وصاروا نفساً واحدة وأخذوا قلباً واحداً في تماثلهم الكامل في حياة التقوى ومحبة الله وفي طاعة إيمانهم واشتياقهم للفضائل، وما قلته ليس بعيداً عن الحق، بل هو مناسب وضروري، وإذا كان معنى النص يلزمنا بأن نغوص وراء ما هو أعمق – خصوصاً – وإن كلمات المخلص تدعونا إلى ذلك "كما أنك أيها الآب فيَّ وأنا فيك هكذا ليكون الكل واحداً فينا"، فإننا يجب أن ننتبه إلى ما معنى هذه الكلمات. لأننا فيما سبق، قد أكدنا وبكل صواب أن تُشبِه وحدة المؤمنين وإتقان قلوبهم ونفوسهم، وحدة الثالوث وتماثل الأقانيم. ولكننا في هذا المجال يجب أن نشير إلى الوحدة الطبيعية التي تشملنا جميعاً وكلنا معاً بالله دون أن نفقد الوحدة المادية Physical القائمة بيننا رغم أن لكل منا جسده الخاص به الذي يملكه والذي يحفظ له فرادته Individuality لأن بطرس لا يمكن أن يُصبح بولس، ولا يمكن أن نتكلم عن بطرس ونحن نقصد بولس، رغم أن كلاهما واحد بسبب وحدتهما في المسيح، فإذا سلَّمنا بالوحدة الجوهرية التي للآب والابن والروح القدس؛ لأننا نؤمن ونمجد الله الواحد في الثالوث

---

(١) اليهود والأمم كما هو واضح من النص.

القدوس، لنبحث كيف صرنا واحداً كلٍ مع الآخر ومع الله بالمعنى الحسي والروحي لكلمة وحدة: الابن الوحيد المولود من ذات جوهر الله الآب، والذي فيه كل طبيعة الآب الذي ولده هذا صار جسداً حسب الكتب واتحد بطبيعتنا في اتحاد لا يُعَبَّر عنه وصار واحداً من اثنين أي جسده الأرضي ولاهوته، وهو الذي بطبيعته الله، هو الإنسان من السماء، وظل دائماً الله والإنسان بعكس ما يقوله الذين لا يفهمون هذا السر، ولما اتحد فيه العنصران اللذان لا يمكن أن يتحدا، أصبح الإنسان قادراً على أن يشارك ويأخذ من الطبيعة الإلهية، ولهذا حصلنا فيه نحن على شركة وحضور الروح القدس الذي بدأ في المسيح ومن المسيح أولاً عندما صار إنساناً مثلنا ولأجلنا، وأخذ المسحة والتقديس رغم أنه بالطبيعة الله لأنه مولود من الآب نفسه، ولكنه قَدَّس بروحه هيكل جسده، بل كل الخليقة التي تدين له بالوجود والتي يمكن أن يشملها التقديس. هذا السر بدأ أولاً في المسيح وصار طريقاً يؤهلنا لنوال الروح القدس والاتحاد بالله لأننا فيه تقدسنا كلنا حسبما ذكرت لتوي.

اتحاد الكل مع بقاء الفوارق

ولكي نتحد كلٌ مع الآخر وبالله، رغم وجود فروق بين كل شخص وآخر، لأن لكل منّا فرادته وروحه وجسده الخاص به، إلَّا أن الابن الوحيد جَهَّز الوسيلة حسب حكمته وحسب مشورة الآب. لأنه بجسدٍ واحدٍ، أي جسده بارك بالوحدة كل الذين يؤمنون به ويأخذونه في سر الإفخارستيا الذي فيه أيضاً (الإفخارستيا) نصبح كلنا جسداً واحداً معه، ومَنْ يمكنه أن يُفرِّق ويُقسِّم الذين اتحدوا بوحدة طبيعية وعُقِدوا Knit معاً في جسده المقدس الذي هو واحد

مع المسيح. لأننا إذا اشتركنا في الخبز الواحد، نصبح جسداً واحداً؛ لأن المسيح واحدٌ لا يقبل التقسيم. لذلك، الكنيسة هي جسد المسيح، وكلنا كأفراد أعضائه حسبما قال الحكيم بولس. لأننا كلنا اتحدنا بالمسيح بجسده المقدس حيث أننا أخذناه في أجسادنا، أي الواحد غير المنقسم، تصبح خدمة أعضائنا مملوكة له وليس لأنفسنا. وهنا يصبح المسيح الرأس، ولكن الكنيسة تصبح جسده المكون من المسيحيين، وبولس يبرهن لنا هذا بهذه الكلمات: "لكي لا نكون فيما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم، بحيلة الناس، بمكر إلى مكيدة الضلال. بل صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس: المسيح، الذي منه كل الجسد مركباً معاً، ومقترناً بمؤازرة كل مفصل، حسب عملٍ على قياس كل جزء، يحصل نمو الجسد لبنيانه في المحبة" (أفسس ٤: ١٤-١٦). وإن كل الذين يأخذون جسده المقدس يحصلون على هذه الوحدة الحقيقية الحسية في المسيح. يقول بولس مرة أخرى ويشهد مشيراً إلى سر التقوى "الذي في أجيال أُخر لم يُعَرَّف به بنو البشر كما قد أُعلِن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح أن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال الموعد في المسيح" (أفسس ٣: ٥ – ٦). فإذا كنا كلنا من ذات الجسد واحداً في المسيح، من خلال جسده، ألا يعني هذا أن كلَ واحدٍ منّا هو واحدٌ مع الآخر وفي المسيح؟ وبالإشارة إلى الوحدة في الروح، حيث أننا نسير من ذات الطريق، نقول إننا نأخذ الروح الواحد، وهذا يوحّدنا كل بالآخر وبالله، ولكن الذي يسكن في كل فرد منّا هو الروح الواحد غير المنقسم الذي يحفظنا، ولكنه يجعلنا واحداً، وكما أن قوة جسده المقدس يجعل الذين يأخذون هذا الجسد من ذات الجسد الواحد وواحداً معه وفيه، هكذا الروح غير المنقسم يسكن في الكل، ولكنه يظل الواحد الذي يجمع الكل في وحدة

روحية؛ لذلك يخاطبنا بولس الملهَم "محتملين بعضكم بعض في المحبة. مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام. جسد واحد وروح واحد كما دعيتم إلى الرجاء الواحد لدعوتكم. رب واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة. إله وأب واحد للكل الذي على الكل وبالكل وفي الكل" (أفسس ٤: ٢ – ٦) ... وإذا تركنا حياتنا الطبيعية وأسلمنا ذواتنا إلى ناموس الروح القدس، فإنه لا يبقى مجال التساؤل أنه بإنكارنا لأنفسنا وبحصولنا على الحياة العليا التي تشبه حياة الروح القدس، الذي يحل فينا، فإننا نتحول إلى طبيعة أخرى ونصبح ليس بَعدُ بشراً، بل أبناء الله وبشرٌ سمائيون، وبذلك نبرهن على أننا شركاء الطبيعة الإلهية.

وحدتنا في شركة الروح القدس

لذلك نحن كلنا واحد في الآب والابن والروح القدس. وواحدٌ، وأنا أعني في الهوية Identity أو الفكر وكذلك في الحياة حسب البر وفي شركة جسد المسيح المقدس وشركة الروح القدس الواحد" (هنا انتهى نص القديس كيرلس الكتاب ١١ فصل ١١ تفسير يوحنا (١٧: ٢٠ – ٢١).

كانت كلمات الرب في في يو ١٧: ٢١ (ليكون الجميع واحداً كما أننا واحد)، كانت هذه الكلمات محور صراع مع الأريوسية، يؤكد لنا ذلك القديس هيلاري أسقف بواتييه (أثناسيوس الغرب) في الكتاب ٨، فصل ١١ عن الثالوث حيث يقدم لنا إدعاء الأريوسيين، هكذا:

"يطلب ربنا في صلاته لأبيه أن يكون الذين يؤمنون به واحداً كما أنه هو والآب واحد لأنه في الآب والآب فيه لكي يكون الكل واحداً فيهم.

فلماذا تحاولون هنا إدخال الفكر الواحد ووحدة النفس والقلب في اتفاق الإرادة كمعنى لكلام الرب؟ لم تكن هذه الكلمات المناسبة غير معروفة للرب عندما صلَّى، وكان يمكنه أن يقول "أيها الآب كما أننا واحد في الإرادة اجعلهم هم أيضاً واحداً في الإرادة لكي يكون الجميع واحداً بالاتفاق (الإرادة)، أم أن الكلمة الذي هو الكلمة لا يعرف هذه الكلمات: الإرادة – الفكر ... إلخ؟ أم أن الرب الذي هو حق لا يعرف كيف ينطق الحق؟ أم الذي هو حكمة قد ضلَّ الطريق وتكلم بغباءٍ؟".

وبعد أن نفى هيلاري كل هذه، وهي تفاسير الأريوسيين يقول:

"لكنه علم بأن الذين يؤمنون سيكونون "واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك ليكونوا واحداً فينا"؛ لأنه قبل أي شيء آخر قد حدد المؤمنين الذين قال عنهم "ليكونوا واحداً"، ثم بعد ذلك الارتقاء نحو الوحدة بتقديم مثال الوحدة بقوله: "كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك، ليكونوا واحداً فينا"، وكما أن الآب في الابن والابن في الآب معلة هذا المثال يصبح الكل واحداً في الآب والابن".

ولكن ما هي هذه الوحدة نصل إليها في المسيح. يقول هيلاري:

"أريد أن أسأل بعض أسئلة للذين يعترفون فقط بأن هذه الوحدة هي اتحاد إرادة بين الآب والابن: هل المسيح معنا اليوم باتفاق الإرادة أم بحق طبيعته؟ حيث أن الكلمة حقاً صار جسداً، وأننا في عشاء الرب نقبل بكل حق جسد الكلمة، فكيف يمكن لأي إنسان أن يقول إنه لا يحل فينا؟ عندما صار جسداً أخذ على الدوام وعبر كل العصور وحقاً جسدنا ووحد حقيقة جسده بحقيقة إلوهيته في سر جسده الذي نتناوله. هذا هو سبب وحدتنا؛ لأن الآب في المسيح والمسيح فينا. لذلك، كل من ينكر أن الآب حقاً في المسيح سوف ينكر أولاً أنه ليس حقاً في المسيح، أو أن المسيح ليس حقاً

فيه؛ لأن الذي يجعلنا واحداً في الآب والابن هي حقيقة أن الآب في المسيح والمسيح فينا" (الثالوث كتاب ٢: فصل ٢٤).

ولنا عودة مع باقي الاتهامات، ومرحباً بكل اتهام مهما كان لأن من يدخل عرين الأسود (الآباء) لا بُد له وأن يكون أسداً، وإلاَّ أكلته الأسود.

وها أنا أُكرر دعوتي إلى حوارٍ مفتوح أمام شعب الكنيسة، لا أمام أي جهة أخرى؛ لأننا لا نريد أن نجلب عاراً على الكنيسة، يكفي ما يلحق بنا كل يوم من شتائم تأتي من كل جهة تحاول النيل من أم الشهداء.

أدعو بالغفران للجميع، ولكن ليعلم الجميع أن التاريخ لا يغفر، لأن الكل سوف يقف يوماً أمام محكمة التاريخ.

دكتور

جورج حبيب بباوي